سلسلة رسائل الفضيلة ٢١





إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

دار الفضيلة
للنشر والتوزيع

سلسلة رسائل الفضيلة

(٢١)



إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر



الطبعة الأولى لدار الفضيلة

(1435هـ ـ 2014م)

رقم الإيداع: 1696 ـ 2014

ردمك: 7 ـ 012 ـ 85 ـ 9947 ـ 978

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

العنوان: حي باحة (03)، رقم (28) الليدو ـ المحمدية ـ الجزائر

هاتف وفاكس: 63 19 51 021

النقال: 92 99 06 0559

التوزيع: 08 53 62 0661

البريد الإلكتروني: darelfadhila@hotmail.com

موقعنا على الشبكة العنكبوتية: www.rayatalislah.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله مِن شُرور أنفسِنا ومِن سيِّئاتِ أعمالنا مَن يهدِه الله فَلا مُضلَّ له ومَن يُضللْ فَلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد:

إنَّ الاجتماعَ لتذاكرِ أمور الدِّين عمومًا وتذاكرِ مواسم الخير الَّتي يستقبلُها المؤمنون لا شكَّ أنَّه من الأمور المهمَّة الَّتي ينبغي أن تحظى بعنايتنا واهتمامنا؛ لما يترتَّب على ذلك من العوائد الكريمة والخيراتِ العظيمة والمنافع الجمَّة الَّتي لا تُعدُّ ولا تُحصى؛ وقد جاء في «صحيح مسلم» أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرجَ على

أصحابه يومًا وهُم جلوسٌ في المسجد يتذاكرون، فقالَ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**مَا أَجْلَسَكُمْ؟**» قُلنا: جلسْنا نتذاكر الإسلامَ وما مَنَّ اللهُ علينا به؛ فقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ**» قلنا: والله ما أجلسَنا إلَّا ذلك؛ فقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَمْ أَسْتَحلِفْكُم تُهْمَةً لَكُم، وَلَكِن أَتَانِي جِبرِيلُ آنِفًا فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ يُبَاهِي بِكُم مَلَائِكَتَهُ**»(١).

فهذه إشارةٌ عظيمةٌ لمن أكرمَه اللهُ تعالى ومَنَّ عليه لحفظ وقته في مثل هذه المجالسِ الَّتي تُعقَد في بيوتِ الله الَّتي أَذِنَ اللهُ ـ جلَّ وعلا ـ أن تُرفَع ويُذكَر فيها اسمُه.

ومثل هذه المجالس المباركة لا بدَّ للمسلم أن يصبِّر نفسَه عليها، وأن يقتَطع لها من وقتِه حتَّى يستفيدَ وينتفعَ، وإلَّا إذا كان لاهيًا مُنصَرِفًا مُنشغِلًا مُكِبًّا على أمور دنياه الَّتي لا تنتهي فلا يتهيَّأ له معرفةُ الخير، ومعرفةُ أبوابِه، ومعرفةُ السُّبُل الَّتي يصل من خلالها إلى الخير، وإلى ما يُرضي اللهَ ـ تبارك وتعالى ـ.

---

(١) برقم (٢٧٠١) من حديث معاوية رضي الله عنه.

وفي مثل هذه المجالس يَتمُّ التَّوجيه وتأتي الموعظة وتحصلُ الذِّكرى وإيقاظُ القلوب والتَّوجيه إلى أبواب الخير فينتفع النَّاس ويستفيدون فوائد عظيمة.

أمَّا الموضوع الَّذي نحنُ بصدد الكلام عنه فهو عن إقبال شهر رمضانَ؛ ـ وكما تعلمون ـ أنَّه قد بقي على دخول هذا الشَّهر المبارك أيَّامٌ معدودةٌ، ثمَّ يُطِلُّ بخيراتِه العميمة، وأفضالِه الكريمةِ، وبركاتِه المتوالية.

فشهر رمضانَ قَد أقبل، وإقبالُه لدى المسلمين له شأنٌ عظيم، ووقعٌ كبير في نفوسِهم؛ لأنَّهم يتشوَّفون مجيئه ويتطلَّعون إلى قدومِه، ويتباشرون عند دنوِّه، ويفرحون به إذا دخل فرحًا عظيمًا لما يعلمونَه عن هذا الموسم العظيم المبارَك من الخيراتِ العظيمة، والخصائص الجليلة الَّتي تميَّز بها هذا الشَّهر واختصَّ بها مِن بين سائر الشُّهور.

ومَن أكرمه الله ـ جلَّ وعلا ـ وفَسَح في أجلِه، ومَدَّ في عُمره ليَصِل ويَبلُغَ هذا الشَّهر الكريم فهذه منَّةٌ عظيمةٌ على العبد ليشاركَ أهلَ الإسلام في قطف جنى هذا الموسِم العَظيم

المبارك موسمِ الطَّاعة والإيمان، والتَّقرُّب إلى الرَّحمن ﷻ.

وقَد جاء في السُّنَّة الصَّحيحة أنَّ النَّبيَّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ كان يبشِّرُ أصحابَه بقدوم هذا الشَّهر فقد جاء أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقول لأصحابه: «**قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا، فَقَدْ حُرِمَ**»(١).

«**قَد جَاءَكُم شَهرُ رَمَضَانَ**»: أي إنَّ هذه بشارةٌ وتهنئةٌ لكم، وإخبار بأمر عظيم تحقَّق لكم، وهو أنَّ رمضانَ قد جاءكم وأنتُم تتمتَّعون بالصِّحَّة والعافية، وتَنعمُون بالأمن والإيمان والسَّلامة والإسلام، فهذا شهر رمضانَ قد جاءكم وهُو مَوْسمٌ عظيمٌ للإقبالِ على الله، ولمحاسبة النَّفس، وللقيام بطاعة الله ـ تبارك وتَعالى ـ، وللبُعد عن الأمُور الَّتي حرَّمها الله ـ جلَّ وعلا ـ.

---

(١) أخرجه أحمد (٧١٤٨، ٨٩٩١، ٩٤٩٧)، والنَّسائي (٢١٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي هذه الكلمة تحريكٌ للقُلوب لتَستَشْعر قيمةَ هذا الشَّهر ومكانتَه، وعظيمَ منزلته؛ أي: فتهيَّأوا له واستعدُّوا لمجيئه واستقبلوه بأحسنِ استقبالٍ، وضيِّفوه بأحسَن ضيافة.

فالنَّاس يبشِّر بعضُهم بعضًا بقُدوم أو إقبال الأمور المهمَّة والأمور العظيمة ليتهيَّأوا لها ويستعدُّوا.

وشَهر رمضان ضيفٌ كريم ووافدٌ عزيزٌ على نفس كلِّ مؤمن، وكلُّ مؤمن يفرحُ بهذا الضَّيف فرحَهُ بأعظم ضيفٍ وأكرمِ وافدٍ عليه؛ أرأيتَ الشَّخص الكريم الَّذي يتمتَّع بالسَّخاء والجود والبذل والعطاء عندما يقدُمُ عليه ضيفٌ عزيز القَدر، عالي المكانة، رفيع الشَّأن؛ كيف يكون استقباله لضيفٍ هذا شأنُه؟ وكيفَ يكون فرحُه به؟ وكيف تكونُ ضيافته له؟

فقوله: «**قَد جَاءَكُم شَهرُ رَمَضَانَ**» أي: فتهيَّأوا لضيافة هذا الضَّيف العزيز، وتهيَّأوا لإكرامه وللقيام بحقِّه، وهيِّئوا أنفُسَكم لذلك؛ لأنَّه كما أنَّه يأتي سريعًا يذهبُ سريعًا، فتهيَّؤوا له وأعدُّوا أنفسكم للقيام بالأعمال الجليلة والطَّاعات النَّبيلة والعبادات الَّتي يسرُّكم أن تلقَوا ربَّكم ـ تبارك وتعالى ـ بها.

فينبغي على المسلم أن يُحسِن استقبالَ شَهر رمضَان، وهُنا يتفاوتُ النَّاسُ تفاوتًا عظيمًا في كيفيَّة استقبال هذا الشَّهر:

ففئةٌ من النَّاس يستقبلون هذا الشَّهر بالإقبال على الأسواق إقبالًا شديدًا ليشتَرُوا أصنافَ الأطعمة وأنواعَ المأكولات وأطايبَ المطاعم، فيتَسابقون على الأسواق ويشتَرون أطعمَةً ومأكولاتٍ بكمِّيَّاتٍ هائلةٍ، وكأنَّهم يستقبلون شهر أكلٍ وشربٍ وتناولٍ للطَّعام، فيشتَرون شراءً متزايدًا حتَّى إنَّ التَّسوُّق وشراءَ الأطعمة يزيد في رمضان عند كثيرٍ منَ الأُسَر عن حاجاتِهم وكفايتهم، ولهذا بعضُهم ولا سيما أهلَ الإسراف تجده يبذِّر تبذيرًا مشينًا، ويضَعُ على مائدته وسُفْرتِه أنواعًا كثيرةً من الأطعمة ثمَّ لا يأكلُ منها إلَّا شيئًا قليلاً؛ فهذا قسمٌ من النَّاس.

وقسمٌ آخر إذا أقبل شَهر رمضَان هيَّأوا لأنفسِهم أدواتِ اللَّعبِ واللَّهو والضَّياع، وهيَّأوا لأنفسِهم أمورًا يُشْغِلون بها أوقاتَهم الثَّمينة في شهر رمضان في ضياع وهدر للأوقات فيما لا فائدة فيه بل في كثير من الأحيان فيما فيه مضرَّةٌ محقَّقةٌ، ويهيِّئون

مثل هذه الأمور ويستعدُّون استعدادًا تامًّا قبل مجيء رمضان.

وهناك آخرون مَنَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عليهم بتوفيقِه وكلأَهُم برعايته وأحاطَهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعنايته فأخذُوا يهيِّئون أنفسَهم لرمضانَ، فتجدُ أحدهُم تكثُر أمامَه الخواطر، وتَدور في خَلَده صنوفٌ كثيرةٌ من الخيرات، فيبدأ يرتِّب للقُرآن وقتًا، ولذكر الله وقتًا، ولقيام اللَّيل وقتًا، ولمساعدة المُحتَاجين وقتًا، وللبذل وقتًا، ولمجالس العلم وقتًا؛ فتتزاحم عليه.

وبعضُ النَّاس يرى أنَّ الشَّهر يَضِيقُ عليه عنده مشاريعُ كثيرةٌ، وأعمالٌ عديدةٌ، ومجالاتٌ واسعةٌ للقيام بطاعةِ الله ـ تبارك وتعالى ـ؛ لكنَّ الشَّهر يضيقُ عليه ولا يتَّسع لما عنده من أبوابِ الخير.

وهناكَ أناسٌ يتعاملون مع شَهر رمضان تعامُلَهم مع كلِّ شهرٍ، فيمضي عليه شهر رمضَانَ كما تمضي عليهم بقيَّة الشُّهور حتَّى إنَّ اللَّيلة الَّتي جاء في القُرآن أنَّها خيرٌ من ألف شهر تمضي على كثيرٍ منَ النَّاس مضيَّ سائر اللَّيالي! وهذه خسارةٌ فادحةٌ، وغبنٌ بيِّنٌ، وإهدارٌ لما لا يليقُ بالمُسلم أن يُهدره وأن يضيِّعَه، ولهذا

ينبغي على المُسلم أن يُحسنَ استقبالَ هذا الشَّهر وأن يُحسنَ ضيافتَه، وأن يهيِّئ نفسَه لأَنْ يكونَ من أهل هذَا الشَّهر صدقًا وحقًّا.

جاء في «سنن التِّرمذي»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه كانَ يقول: «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلله عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ**».

فتأمَّل قولَ النَّبيِّ ﷺ: «**وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيرِ! أَقبِلْ**» أي: أنَّك قد استقبلت موسمًا للخير وموسمًا للطَّاعة فأقبِل عليه إقبالًا شديدًا، واحرِص عليه حرصًا عظيمًا، وإيَّاك ثمَّ إيَّاك أن تضيِّع على نفسِك هذه الفُرصة العظيمة، فهو موسمٌ رابحٌ للخَير، وتجارتُه رابحةٌ وإذا ذهبَ لن يعود.

«**وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ! أَقْصِرْ**» أي: لا يليقُ بمَن يبتَغي الشَّرَّ أو

---

(١) برقم (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، وصحَّحه الألباني.

تتحرَّك نفسُه للشَّرِّ أن يُتيحَ لها المجال أن تتمادى في شرِّها، وأن تُسرِفَ في غيِّها، وأن تستَمرَّ في ضلالها في هَذا الموسم الكريم المبارَك.

ومَن لم تتحرَّك نفسُه للإقبال على الله ـ تبارك وتعالى ـ والتَّوبة والنَّدم عندما يُقبِلُ مثلُ هذَا الموسم الكريم فمَتى تتحرَّك نفسُه؟ وكثيرٌ من النَّاس غلبته الشَّواغل والمغريات والملهيات وأصبحت عائقًا وحجر عثرةٍ له عن التَّوبة والرُّجوع إلى الله؛ فيصبح ويمسي وهو في ترفٍ وبذخٍ، وإسرافٍ وتبذيرٍ، ولعبٍ وسهرٍ، ونومٍ وكسلٍ، وظلمٍ وفجورٍ؛ فشهر رمضان فرصة لأمثال هؤلاء الغافلين للتَّوبة النَّصوح والإقبال على الله، وإذا لم تتحرَّكْ النَّفسُ في هذا الموسم العظيم للتَّوبة فمتى تتحرَّك!! وإذا لم يقبِل العبد على الله في هذا الشَّهر المبارك فمتى يقبل!!

ثمَّ إنَّ قولَه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**وَلله عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ**» أي: أنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ كلَّ ليلة من ليالي هذا الشَّهر الكريم يعتقُ أناسًا من نار جهنَّم؛ والمسلمُ

تتوقُ نفسُه أن يحظَى بهذا الفوز العظيم، وهُو أن تُعتَق رقبتُه من النَّار ـ أجارنا الله منها ـ.

في بعض الأحيان يُعلَن في بعض الأماكن عن مسابقات وجوائز، ويُجعل لكلِّ يوم جائزة: إمَّا ألف ريال أو أكثر أو أقلَّ، وترى النَّاس يُقبلونَ عليها بتكالبٍ شَديدٍ، وإقبال متزايدٍ، كلُّ واحدٍ يقدِّم ويبذل ويجهد نفسَه ليَحصُل على ألف ريال أو أقلَّ أو أكثر، وليَكونَ من الفَائزين، لكن عندما يتعلَّق الأمرُ بالفَوز في الآخرة وبأجر يوم القيامة تقلُّ الرَّغبةُ وتضعفُ الهمَّةُ وتقصُر إرادةُ النَّاس عن مثل هَذا الأمر الكريم، وإلَّا فإنَّ اللَّائق بالمسلم عندَما يسمَعُ قولَ النَّبيِّ ﷺ: «**لله عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ**» أن يتشوَّفَ لذلك ويحرص على أن يكونَ من هؤلاء، ويجدَّ ويجتهدَ ويسأَلَ الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يعتقَ رقبتَه منَ النَّار، ويُقبِل على الله ـ جلَّ وعلا ـ ليَحظى بهذا الموعود الكريم، ولينالَ هذا الأجر العظيم.

وقد جاء في حديثٍ آخر أنَّ النَّبيَّ ﷺ وصفَ هذا الشَّهر

بأنَّه شهر الصَّبر، قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**صِيَامُ شَهْرِ الصَّبرِ وَثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهرٍ صِيَامُ الدَّهْرِ**»[1]، فوصَفَه بأنَّه شهرُ الصَّبر، ومعنَى ذلك أنَّ للمُسلم فرصةً عظيمةً في هذا الشَّهر الكريم أن يروِّضَ نفسَه ويعوِّدها على الصَّبر بأنواعه كلِّها: الصَّبر على طاعة الله، والصَّبر عن معصية الله، والصَّبر على أقدار الله ـ تبارك وتعالى ـ؛ فهو موسمٌ للصَّبر.

والله ـ جلَّ وعلا ـ يوفِّي الصَّابرين أجرَهم بغير حساب، وشهر رمضان موسمٌ هو أعظمُ مواسِم الصَّبر، فيبدأُ المسلمُ من أوَّل يوم مِن أيَّام هذا الشَّهر المبارك يعوِّد نفسَه على الصَّبر؛ الصَّبر على العبادة والطَّاعة والذِّكر والقرآن والصَّلاة والصِّيام وغير ذلك ممَّا أمر الله ـ تبارك وتعالى ـ عباده به.

ويعوِّد نفسَه على الصَّبر عن معصية الله؛ فيتركُ مألوفاتِه والأمورَ الَّتي اعتادها من طعامٍ وشراب إلى غير ذلك في نهار

---

(١) رواه أحمد (٧٥٦٧)، والنَّسائي (٢٤٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصحَّحه الألباني.

رمضان، ويصبر على ذلك طاعة لله ـ تبارك وتعالى ـ.

وإذا صبر المسلم في شهر الصِّيام وامتنع عما أحلَّ الله له؛ لأن الله حرَّم عليه ذلك في أيَّام شهر رمضان، فليدركْ ـ أيضًا ـ أنَّ اللهَ قد حرَّم عليه الحرامَ مدَّةَ حياته وطِوالَ عمره، وعليه الكفُّ عما حرَّم والامتناعُ عنه دائمًا خوفًا من عقاب الله الَّذي أعدَّه لمن خالف أمرَه وفَعَلَ ما نهى عنه.

ويعوِّد نفسَه الصَّبر على أقدار الله ـ تبارك وتعالى ـ المؤلمة؛ ففي ترك الطَّعام والشَّراب والنَّفس تتوقُ لذلك، وكذلك حبسُ النَّفس عمَّا أباحه الله من الشَّهوات والمُلذَّات كالجماع ومُقدِّمَاتِه معونةٌ على تحقيق هذا الصَّبر.

فيعيشُ المسلم في هذا الشَّهر صابرًا حتَّى يتخرَّج منه، وقد تلقَّى دروسًا عظيمةً في الصَّبر، واعتاد أبوابًا كثيرةً من الخير؛ وبهذا تكون عائدةُ الشَّهر على الإنسان ليسَت في هذا الشَّهر وحده، وإنَّما ستعودُ عليه بركاتُ الشَّهر وخيراته عمرَه كلَّه، وحياتَه كلَّها؛ لأنَّه روَّض نفسَه على الصَّبر

وعوَّدها عليه وتعايش مع الصَّبر في أعظم مواسِمه، وإذا كان المسلمُ لا يتحلَّى بالصَّبر في أعظم مواسمه فمتَى يصبر؟

ولهذا؛ من الأمور المهمَّة الَّتي ينبغي أن يعتنيَ بها المسلم: أن يعوِّد نفسه في هذا الشَّهر الكريم على الصَّبر بأنواعه؛ الصَّبر على طاعة الله، والصَّبر عن معصية الله، والصَّبر على أقدار الله المؤلمة.

وقد جاء في حديثٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه وصف شهر رمضان بأنَّه شهرٌ مبارَكٌ، قال ﷺ: «**أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ الله عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ فِيهِ تُفَتَّحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَتُغَلَّقُ أَبْوَابُ النَّارِ، وَتُصَفَّدُ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ**»(١).

والشَّاهد من الحديث وصفُ النَّبيِّ ﷺ لشهر رمضان بأنَّه مباركٌ، وبَركة هذا الشَّهر تتناول كلَّ لحظةٍ من لحظاتِه وكلَّ ساعة من ساعاتِه مِن أوَّل دخولِه إلى أن يخرجَ، فكُلُّ لحظة من لحظاتِه

(١) رواه النَّسائي (٢١٠٦)، وصحَّحه الألباني في «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (٩٩٩).

مباركةٌ، وفيه بركاتٌ عظيمةٌ، وخيراتٌ عميمةٌ، وأفضالٌ كثيرةٌ.

ومِن بركاتِ هذَا الشَّهر ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ في هَذَا الحديث أنَّ أبوابَ الجَنَّة فيه تفتَّحُ وأبواب النِّيران تغلَّق، ومَرَدَةُ الشَّياطين يُصَفَّدون، وهذه بركةٌ مختصَّةٌ بهذَا الشَّهر لا تكونُ في غَيره منَ الشُّهور أبواب الجنَّة كلُّها تفتَّح لا يغلق منها باب، وأبوابُ النَّار كلُّها تغلَّق لا يُفتَح منها باب، ومردة الشَّياطين يصفَّدون فلا يستطيعُ واحدٌ منهُم أن يخلُصَ إلى أحدٍ من النَّاس كما كانوا يخلصُون إليهم في غَير هذا الشَّهر.

وهذه كلُّها بركاتٌ عظيمةٌ تشحَذُ الهمَمَ، وتُوقِد العَزائم، وتنشِّطُ النَّاسَ للإقبال على طاعةِ الله ـ تبارك وتعالى ـ.

ولو أخذنا نتحدَّث عن خَيراتِ هذا الشَّهر وخصائصه وفضائله ومكانتِه لطالَ بنا المقامُ، لكن أنتقل إلى الحديث عن بعض ما ينبغي علينا أن نستَقبلَ به شهرَ رمضان؛ أو كيفَ يكون استقبالنا له؛ فأضع بين يدي القارئ الكريم نقاطًا عديدةً، ومهمَّة جدًّا:

▣ **الأمر الأوَّل**: ينبغي علينا أن نفرح بهذا الشَّهر عند دخوله فرحًا عظيمًا، وأن نُسَرَّ بمَقدمِه، وأن يكونَ له في

قلوبنا مكانةٌ عاليةٌ، ومنزلةٌ رفيعةٌ، وأن نحمَدَ اللهَ ـ جلَّ وعلا ـ على أن مَنَّ علينا ببلوغِه؛ فكَم مِن أناس شَهدوا شهر رمضانَ الَّذي مضى، والشُّهور الَّتي قبلَه ولكن انقطَعَ بهم الأجلُ، فلَم يُدركُوا هذا الشَّهر، وكانُوا يتشوَّفُون لإدراكه، ولا ندري ربَّما أنَّ بعضَنا قد لا يدركه، وربَّما أنَّ بعضَنا قد يُدركُ بعضَه؛ ولهذا ينبغي أن يحرصَ المسلمُ إذا أكرمَه الله ـ تبارك وتعالى ـ ومَنَّ عليه ببُلوغ هذا الشَّهر أن يحرصَ على حَمْد الله ـ تبارك وتعالى ـ وشُكْرِه على أن مَنَّ عليه ببُلوغه.

ولا شكَّ أنَّ بلوغَك شهرُ رمضان وأنتَ في صحَّةٍ وعافيةٍ وسلامةٍ وإيمانٍ نعمةٌ عظيمةٌ، ومنَّةٌ كبيرةٌ ينبَغِي أن تقدُر قدرَها، وأن تعرفَ مكانَتَها.

وإنَّ مِن شُكرِك لنعمة الله عليك ببلوغ هَذا الشَّهر العظيم أن تحرصَ على الجدِّ والاجتهاد في طاعَةِ الله فيه ـ بلَّغك الله إيَّاه ـ، فاحرِص على القِيام بحقِّ الله ـ تبارك وتعالى ـ فيه مِن صيامٍ وقيامٍ وطاعةٍ وتقرِّبٍ لله ـ تبارك وتعالى ـ، وبُعْدٍ عن الأمور الَّتي حرَّمها الله ـ جلَّ وعلا ـ.

وقد كان مِن سُنَّة النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ إذا رأى الهلالَ ـ هلال أيِّ شهر من الشُّهور ـ يقول: «**اللَّهُمَّ أَهْلِلْهُ عَلَيْنَا باليُمْنِ وَالإِيمَانِ، وَالسَّلاَمَةِ وَالإِسْلاَمِ، رَبِّي وَرَبُّكَ الله**»(١).

فإذا أكرمَك الله عَزَّوَجَلَّ ودخل عليكَ هذا الشَّهر المبارك ورأيتَ هلالَه؛ فادعُ بهذا الدُّعاء المأثور الَّذي كان يدعُو به النَّبيُّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ عند رؤية هلال كلِّ شهر، وهو دعاءٌ عظيمٌ تسألُ فيه ربَّكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يباركَ لكَ في شهركَ، وأن يَمُنَّ عليكَ فيه باليُمن والإيمان والسَّلامة من الشُّرور، والقيام بحُقوق الإسلام على الوجه الَّذي يُرضي الرَّبَّ ـ تبارك وتعالى ـ، فلا شكَّ أنَّ بلوغَكَ هذا الشَّهر نعمةٌ عظيمةٌ توجب عليك شكرَ الله تعالى عليها، وأن تَقْدُرَها حقَّ قدرِها.

◘ ثمَّ من الأمور المهمَّة الَّتي ينبغي أن نستقبل بها شهر رمضان المبارك: أن نستَقبله بتوبةٍ نصوح من كلِّ ذنب وخطيئة، وكلُّنا خطَّاءٌ، ولا بدَّ أن يكون قَد بَدَر منَّا تقصيرٌ وإسرافٌ وإضاعةٌ وتفريطٌ وإخلالٌ ببعض الأمُور، وقَد جاء في الحديثِ عن النَّبيِّ

(١) رواه التِّرمذي (٣٤٥١)، وأحمد (١٣٩٧) من حديث طَلحَة بن عُبَيدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ﷺ أنَّه قال: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[1] فابنُ آدم لا بدَّ له من الخطأ والتَّقصير، لكنَّ خيرَ الخطَّائين التَّوَّابون.

وشهر رمضان موسمٌ عظيمٌ للتَّوبة إلى الله ـ جلَّ وعلا ـ، وكم من أُناسٍ كانوا مُسرِفين في أمرهم مُضيِّعين لطاعات ربِّهم مُقبلين على أمورٍ كثيرةٍ من المنكرات، لكن لمَّا دخل عليهم هذا الشَّهر العظيم تحرَّكت نفوسُهم للخير، وأحسُّوا بأهمِّيَّة الطَّاعة، والإقبالِ على الله ووجَدوا في قلوبهم النَّدم على التَّفريط في طاعة الله، فتابوا إلى الله ـ جلَّ وعلا ـ توبةً نصوحًا.

كَم مِن أناس حصلت منهم التَّوبة النَّصوح في هذا الشَّهر العظيم، ولم يعودوا بعدها إلى ما كانوا عليه في سَالف أوقاتهم من عصيان وتفريط.

وإذا كان المفرِّط المضيِّع المقصِّر لم تتحرَّك نفسُه للتَّوبة إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ في مثل هذا الموسِم؛ فمَتى تتحرَّك نفسُه؟! وإذا لم تهتزَّ مشاعرُه في مثل هذا الوقتِ فمتى تهتزُّ؟!

---

(١) أخرجه التِّرمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١) من حديث أنس رضي الله عنه، وحسَّنه الألباني في «صحيح التَّرغيب» (٣١٣٩).

فشهر رمضانَ موسمٌ كبيرٌ من مواسم التَّوبة إلى الله ـ جلَّ وعلا ـ فلنستقبِلْه بتوبةٍ نصوحٍ من كلِّ ذنب وخطيئة.

والله ـ جلَّ وعلا ـ لا يقبلُ التَّوبةَ من عبادِه إلَّا إذا كانت نصوحًا، والتَّوبةُ النَّصوح لا بدَّ أن يتوفَّر فيها شروطٌ ثلاثة:

⊙ النَّدم على فعل الذُّنوب.

⊙ والعزم على عدم العَودة إليها.

⊙ والإقلاع عنها تمامًا.

فبهذه الشُّروط الثَّلاثة يقبلُ اللهُ تعالى توبةَ العبد إذَا تابَ؛ أن يُقلِعَ عن الذَّنب تمامًا، وأن يعزمَ في قلبِه وقرارةِ نفسِه ألَّا يعود إليه أبدًا، وأن يندم ندمًا شديدًا على وقوعه في الذُّنوب.

فإذا حصلت منه التَّوبة بهذه الشُّروط قُبِلَت توبتُه، ويضيفُ أهلُ العلم إلى هذه الشُّروط الثَّلاثة شرطًا رابعًا: إذا كان الذَّنبُ يتعلَّق بحقوق الآدميِّين؛ كأن يكونَ أخَذَ منهم مالًا أو تعدَّى على حقٍّ من حقُوقهم أو نحو ذلك فيُشتَرط في حقِّ مَن كان كذلكَ شرطٌ رابع، وهو أن يُعيدَ الحقَّ إلى أهله أو يتحلَّلهم منه، وفَّقنا الله أجمعين للتَّوبة النَّصوح من كلِّ ذنبٍ وخطيئةٍ.

◘ ثمَّ من الأمور المهمَّة الَّتي ينبغي أن نهتمَّ بها في شهر رمضان: أن نحافظ على الصِّيام الَّذي هو فريضة هذا الشَّهر والنَّاس يتفاوتون في صيامهم تفاوتًا عظيمًا ليسوا فيه على درجةٍ واحدةٍ، وإن كانوا جميعًا يشتركون في الإمساك عن الطَّعام والشَّراب وسائر المفطِّرات من طلوع الفجر إلى غروب الشَّمس؛ لكنَّهم يتفاوتون في تتميم صيامهم وتكميله والإتيانِ به على الوجه الأكمل الأتمِّ تفاوتًا عظيمًا.

وقد سُئل ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: أيُّ الصَّائمين أعظمُ أجرًا؟ قال: «**أَكْثَرُهُمْ لله ذِكْرًا**»[1]، ومن المعلوم أنَّ الصَّائمين يتفاوتون تفاوتًا عظيمًا في الإقبال على ذكر الله تعالى، وعلى القُرآن والمحافظة على الطَّاعة.

من النَّاس مَن يسهَرُ اللَّيل في إضاعةٍ للأوقات وتدميرٍ لها، ثمَّ إذا صلَّى الفَجر ـ إن كان محافظًا على الصَّلاة ـ دخل في نومٍ عميقٍ، وربَّما إنَّ بعضَهم يفوِّتُ صلاةَ الظُّهر في وقتها وصلاةَ العصر!

(١) رواه أحمد (١٥٦١٤)، والطَّبراني في «الدُّعاء» (١٨٨٧)، وفي «الكبير» (١٦٨١٢).

فالنَّاس يتفاوتون في صفة الصِّيام تفاوتًا عظيمًا، ولهذا ينبغي على المسلم أن يحرصَ على تتميم صيامه وتكميله وملئه بذكر الله، والإقبال على طاعة الله، والمحافظة على تلاوة القُرآن، وحضُور مجالس الخير، والجلوس في المسَاجد وأن يجاهد نفسَه على ذلك مجاهدةً عظيمةً.

◘ ومنَ الأمور المهمَّة بل هي أهمُّ ما ينبغي أن يعتنيَ به المرءُ في صيامه: أن يحقِّقَ قولَ النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(1)]، ينبغي للمسلم أن يصوم إيمانًا واحتسابًا لا عادةً جريًا مع العادة، أي أنَّ أهلَه وإخوانَه وزملاءه صاموا فيصوم، ولا يصوم كي لا يُنتَقَد ويُقال مفطر، ولا يصوم رياءً للنَّاس وحبًّا لمدحهم وثنائهم، فلا يصوم لشيء من هذه الأغراض؛ وإنَّما يصومُ إيمانًا واحتسابًا، إيمانًا بالله وإيمانًا بموعود الله ـ تبارك وتعالى ـ للصَّائمين، وأنَّه سبحانه يوفِّيهم أجورهم بغير حساب، وإيمانًا بأنَّ الله تعالى فرض على عباده الصِّيام.

---

(1) رواه البخاري (٣٧، ١٨٧٥)، ومسلم (١٢٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويصومُ احتسابًا يحتَسب صيامَه وأداءه لطاعة الله ـ تبارك وتعالى ـ في هذا الشَّهر العظيم أجرًا، وثوابًا عند الله ـ تبارك وتعالى ـ.

والصَّائمون لهم أجرٌ عظيمٌ وثوابٌ جزيلٌ عند الله ـ جلَّ وعلا ـ، وقد جاء في الحديث القدسيِّ أنَّ الله يقول: «**الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»(١) وهذا يبيِّن عظمَ ثوابِ الصَّائمين وكبرَ أجرِهم عند الله ـ جلَّ وعلا ـ؛ فينبغي على المسلم أن يحافظ على صيامِه أشدَّ المحافظة، وفي الحديث الآخر يقول ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ، فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ**»(٢) سيفرح الصَّائم فرحًا عظيمًا عندما يلقَى اللهَ ـ جلَّ وعلا ـ يومَ القيامة؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أعدَّ للصَّائمين أجرًا عظيمًا وثوابًا جزيلًا، بل إنَّ الله تعالى قد خصَّص للصَّائمين بابًا يدخلون منه إلى الجنَّة يسمَّى باب الرَّيَّان(٣) كما

(١) رواه البخاري (١٧٦١)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (١٧٧١)، ومسلم (١٩٤٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (١٨٩٦، ٣٢٥٧)، ومسلم (١١٥٢) من حديث سهل ابن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثبتَ ذلك في الحديثِ الصَّحيح الثَّابت عن النَّبيِّ ﷺ.

فعلى المسلم أن يعتني بهذا الأمر من أوَّل الشَّهر إلى نهايته، أن يصوم إيمانًا واحتسابًا؛ إيمانًا بالله وبأنَّه سبحانه أوجب علينا الصِّيام، واحتسابًا في نيل الثَّواب والأجر من الله ـ تبارك وتعالى ـ.

◘ ثمَّ إنَّ من الأمور المهمَّة الَّتي ينبغي أن نعتني بها في شهر رمضان أن نكتسب منه وفيه ومن خلاله تقوى الله ـ جلَّ وعلا ـ، وهذا من أهمِّ ما شُرِعَ الصِّيامُ لأجله كما قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ]، فبالصِّيام وأداء هذه العبادة يسلكُ المسلم مسلكًا عظيمًا وسبيلًا مباركًا يؤدِّي به إلى تقوى الله ـ جلَّ وعلا ـ، فالصِّيام فرصةٌ لك لتتزوَّد من زاد التَّقوى ولتكون من المتَّقين.

والتَّقوى: «هي أن تعمل بطاعة الله على نُور منَ الله ترجو ثوابَ الله، وأن تتركَ معصيةَ الله على نورٍ من الله، تخافُ عقابَ الله».

ولنقف قليلًا لنتأمَّل كيف أنَّ الصِّيام يحقِّقُ للعبد التَّقوى

ويتزوَّد من خلاله بزاد التَّقوى؟ المسلم على مدار العام وطول السَّنة اعتاد في النَّهار على أمور أَلِفَها اعتاد على تناوُلِ طعام الإفطار في الصَّباح، واعتاد على تناول طعام الغذاء، واعتاد على أنواع من المشروبات أصبحت في يومه أو في أيَّامه أمرًا معتادًا مألوفًا؛ لكنَّ هذه المألوفاتِ الَّتي اعتادها ما إن يدخل عليه شَهر رمضانَ إلَّا ويتركها مع أنَّه معتادٌ عليها وقد ألفها تمام الإلف؛ لكنَّه يتركها ويمتَنع منها تمام الامتناع لا لشيء إلَّا لنيل ثوابِ الله ـ تبارك وتعالى ـ، وهذه هي التَّقوى؛ فتجد الصَّائم يمتنع من الطَّعام والشَّراب الَّذي أمامه ولو كان وحده لا يطَّلع عليه أحدٌ من النَّاس كلُّ ذلكَ طاعةً لله تعالى.

فهذا الَّذي يحصل من المسلم في نهار رمضان ينبغي أن ينمِّيه في حياته كلِّها مع كلِّ طاعة أمر الله ـ تبارك وتعالى ـ بها، ومع كلِّ أمر نهى الله ـ جلَّ وعلا ـ عنه.

فأنتَ الَّذي امتنعَت في نهار رمضانَ عن الطَّعام والشَّراب طاعةً لله ينبغي عليكَ أن تمتَنع عن كلِّ أمرٍ حرَّمه الله عليك في كلِّ وقتٍ وحينٍ؛ فرَبُّ رمضانَ هو رَبُّ الشُّهور كلِّها ﷻ، والَّذي يجبُ أن يُطاع في رمضان يجب أن

يُطاع في كلِّ وقت؛ فإذا كنتَ ملكتَ نفسَك وحبستَها عن معصية الله تعالى، وتركت مألوفاتِك والأمور الَّتي اعتدتها طاعةً لله ـ جلَّ وعلا ـ في نهار رمضان، ينبغي عليك أن تعوِّد نفسك على القيام بهذا الأمر في كلِّ وقت وحين.

إنَّ الامتناعَ عن الطَّعام والشَّراب وسائر المفطِّرات محلُّه شهر رمضان ـ يعني وجوبه ـ من طلوع الفَجر إلى غروب الشَّمس؛ أمَّا الصِّيام والامتناع والإمساكُ عن المحرَّمات فمحلُّه العُمر كلُّه.

وعليك أن تجاهد نفسَك مجاهدةً تامَّةً للصِّيام عن كلِّ أمرٍ حرَّمه الله عليكَ؛ فإذا اعتديتَ أو تجاوزتَ أو وقع منكَ شيءٌ منَ التَّقصير تدارك نفسَك بالتَّوبة والإنابة والرُّجوع إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ.

ولنتنبَه هنا كيف أنَّنا نستفيد من الصِّيام في شهر رمضان في تحقيق التَّقوى لله تعالى؛ حيث إنَّ المرء يمتَنع عن أمورٍ مألوفةٍ له طاعةً لله ﷻ؛ فلماذا لا يمتنع عن الأمور المحرَّمة الَّتي حرَّمها الله تعالى عليه في كلِّ وقتٍ وحينٍ؟ وقد سُئل أحدُ السَّلف عن أقوام

يعبدون الله عَزَّوَجَلَّ في رمضان يحافظون على الفرائض ويحافظون على الواجبات في رمضان لكنَّهم إذا خرج رمضان تخلَّوا عن ذلك وضيَّعوه تمامًا فقال: «بئس القَوم لا يعرفونَ اللهَ إلَّا في رمضان»[1].

فيجب على المسلم أن يكونَ مراقبًا لله محافظًا على طاعته في رمضان وفي غيره، وهذا معنى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ] أي لتَنالوا من خلال هذا الشَّهر الكريم ومِن خلال محافظتِكم على طاعة الله تقوى الله ـ تبارك وتعالى ـ؛ ولهذا كان شهر رمضانَ فرصةً كبيرةً وثمينةً لنتزوَّد من خلاله بزاد التَّقوى والله ـ جلَّ وعلا ـ يقول: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ]؛ ويقول ـ جلَّ وعلاـ : ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحُجُرَاتِ : ١٣] ففرصتُنا الثَّمينة في هذَا الشَّهر الكريم أن نتزوَّد بزاد التَّقوى، وأن نتخرَّج من مدرسة رمضان متَّقين لله ـ تبارك وتعالى ـ متعوِّدين على

(١) انظر: «لطائف المعارف» (ص ٣٩٦).

المُحافظة على طاعة الله، والقيام بأوامره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإنَّك لتعجبُ غايةَ العجَب من أُناس كثيرين إذا دخل رمضانُ ملأُوا المساجدَ، وحافظوا على الصَّلوات، ثمَّ إذا خرج رمضانُ ودَّعوا ذلك أو ودَّعوا أكثَره، فتجد في بعض الأوقات مثَل صلاة الفجر الصَّفَّ لا يمتلئ، لكن إذا جئتَ إلى صلاة الفَجر في نهار رمضان تجد صفَّين أو ثلاثة! فهل هؤلاء كانوا أمواتًا ووُجدوا في شهر رمضان؟ أو كانوا مسافرين ثمَّ جاءوا في شهر رمضان؟ أم ماذا؟ لا يحافظون على صلاة الفَجر مع الجماعة إلَّا في شهر رمضان؟ أين هُم من المحافظة على هذه العبادة في الشُّهور كلِّها؟

ولهذا نقول: فرصة لمن أكرمه الله عَزَّوَجَلَّ ومَنَّ عليه بالمحافظة على الصَّلاة وتحرَّكت نفسُه للطَّاعة والعبادة وذاق حلاوتَها في شهر رمضان أن يمضيَ على ذلكَ في حياته كلِّها ليستَفيد من شهره الكريم ومِن موسِمه المبارك ليحقِّق بذلك المعنى الَّذي في الآية الكريمة ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ] أي لعلَّكم تتَّقون الله عَزَّوَجَلَّ من خلال

ما تقومونَ به من طاعة وتؤدُّونه من عبادة في هذا الموسِم الكريم.

وعلى هذا؛ فالصِّيام مدرسةٌ تربويَّةٌ عظيمةٌ مباركَةٌ يتخرَّج فيها المؤمنون المتَّقون، ويتزوَّد فيها المؤمنون بأعظم زادٍ يمضي معَهم في حياتهم كلِّها، وفي أيَّامهم جميعِها، على أنَّ هذه المدرسةَ ـ مدرسةَ شهر الصِّيام ـ لا يستفيد منها كثيرٌ من النَّاس؛ إذ تمضي عليهم هذه المدَّة الشَّريفة وهُم يتعايشون معها تعايشَ الطَّالب البليد في مدرسته يتخرَّج ولا يستفيد.

بينما المؤمن المجدُّ الحريص يدخل هذه المدرسة المباركة فيأخُذ منها دروسًا تربويَّةً إيمانيَّةً علميَّةً تمضي معَه في حياته كلِّها.

وأضربُ مثالًا من دروس رمضان إضافةً إلى ما مرَّ من دروس:

◘ مَن ابتُلي بشُرب الدُّخان وتناول هذا المضرِّ الخبيثِ الَّذي لا فائدةَ فيه البتَّة تجده في شهر رمضان من طلوع الفجر إلى غروب الشَّمس يمتنع عنه تمامًا، ويبتعد عنه تمامَ الابتعاد، مع أنَّه اعتاد أن يشربَ منه الشَّيء الكثير، لكنَّه يمتَنعُ عنه في نهار رمضان، فهي في

الحقيقة فرصةٌ له ليمتَنع عنه تمام الامتناع؛ وكثيرٌ ممَّن يتعاطَى الدُّخان إذا نُصح يعتَذر عن ذلك بأنَّه لا يستطيع تركَه؛ أليس هو قد تركه طيلة أيَّام هذا الشَّهر العظيم من طلوع الفجر إلى غروب الشَّمس؟ فهذا درسٌ له يفيدُه فائدةً عظيمةً ألا وهي أنَّ في استطاعته ووُسْعِه أن يتركَ هذا الدُّخان أبدًا، وألَّا يتعاطاه مطلقًا.

كما تعجبُ من بعض النَّاس غايةَ العجب عندما يفطرون على الدُّخان! يصوم عن المباحات طاعةً لله، فإذا أذَّن المؤذِّن بأذان المغرب ـ وفي ذلك إيذانٌ بالإفطار ـ يفطر على معصية الله، فبعضُهم يصلِّي المغربَ ويؤذيك برائحة الدُّخان، حتَّى إنَّ بعضَهم يتمادى في غيِّه ويطفئ سِجارتَه عند باب المسجد! فيخرَج من بيته وهو يشربُ الدُّخان إلى أن يصل باب المسجد ثمَّ يدخل المسجد برائحته الكريهة؛ فيؤذي المصلِّين ويؤذي الملائكة في مكان العبادة والطَّاعة!

فتعجَب من مثل هذا الشَّخص، النَّهار كلَّه صائمٌ لا يأكُل ولا يشرب طاعةً لله، وما أن يؤذِّنَ المؤذِّن إلَّا ويبادر إلى هذه المعصية، وشربُ الدُّخان معصيةٌ وذنبٌ وإثمٌ وحرامٌ،

ويُعاقب على شُربه إذا شربه ويحاسبه الله ـ تبارك وتعالى ـ على ذلك، وأدلَّة تحريمه كثيرة جدًّا بسطها العلماءُ.

فرمضان فرصةٌ للمُدخِّن ولكلِّ مَن عنده إسراف أو تقصيرٌ أو إضاعةٌ أو تفريطٌ أن يستفيد من هذا الموسم الكريم.

◘ من الأمور المهمَّة الَّتي ينبغي التَّنبُّه لها: العناية بكتاب الله ـ جلَّ وعلا ـ، فمِن خصائص رمضان ومميِّزاتِه أنَّ القُرآن أُنزِل فيه كما قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ففي هذا الشَّهر أُنزِل القرآن، وكان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتي النَّبيَّ ﷺ في شهر رمضان يدارسُه القُرآن، فيعرض النَّبيُّ ﷺ عليه القُرآن ويقرأه عليه.

فعلى المسلم أن يعتَني بكتابِ الله عَزَّ وَجَلَّ في هذا الشَّهر العظيم الَّذي هو شَهر القُرآن، وكان بعضُ السَّلف إذا دخل شهر رمضان ترك أكثر أعماله، وقال: «إنَّما هُو قِراءة القرآن وإطعام الطَّعام» ويقبلون على القُرآن إقبالًا عظيمًا؛ فمنهم مَن يختم القرآن كلَّ يوم، ومنهُم مَن يختم كلَّ ثلاثة أيَّام،

ومنهم مَن يختم كلَّ أسبوع، ومنهُم مَن يختم كلَّ عشرة أيَّام.

ومن النَّاس مَن يدخُل عليه الشَّهر ويخرج وما فتحَ المُصحَف إلَّا مرَّة أو مرَّتين أو ثلاثة! لكنَّه مقبلٌ على أمور أُخرى ينظر إليها ويشاهدُها قد استولت على قلبه.

هذه كلمةٌ أسأل الله ـ جلَّ وعلا ـ أن ينفعني وإيَّاكم بها وأن يكتبَها في موازين حسناتِنا جميعًا، وأن يجعلها حجَّةً لنا لا حجَّةً علينا، وأن يبلِّغنا وإيَّاكم هذا الشَّهر العَظيم، وأن يُعينَنا وإيَّاكم على الصِّيام والقيام وأن يجعل أعمالنا فيه، وفي كلِّ أوقاتنا له ـ جلَّ وعلا ـ خالصةً ولسنَّة نبيِّه ﷺ موافقةً، وأن يصلحَ لنا ولكم دينَنا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأن يصلحَ لنا دنيانا الَّتي فيها معاشُنا، وأن يُصلح لنا آخرتَنا الَّتي فيها معادنا، وأن يَجعل الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خير، والموت راحةً لنا من كلِّ شرٍّ؛ إنَّه ـ تبارك وتعالى ـ خير مسئول وخير مرجوٍّ.

والله تعالى أعلم، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

